



لوحة رقم ( ٩ ) الفنان الأسباني بابلو بيكاسو - الجورنيكا.

### المرحلة الأولى : التحليل الوصفي

تعد (الجورنيكا) (Guernica) من أشهر اللوحات التي رسمت في القرن العشرين ، وكما تعد أيضاً من أشهر اللوحات في تاريخ الفن والتي تعد شعاراً عالمياً للمعاناة الإنسانية . حيث يبلغ حجم هذه اللوحة ( ٣،٥٠ X ٧،٨ م ) مرسومة بالألوان الزيتية وهي الآن محفوظة في متحف (برادو) بمدينة مدريد الأسبانية و تعد (الجورنيكا) من أشهر أعمال الفنان الأسباني (بابلو بيكاسو) (Pablo Picasso) الذي قام بتنفيذها في عام ١٩٣٧ م ، وعندما نحدق في عناصر هذه اللوحة أنها تجسد في مجملها مظاهر الإبادة والدمار والهلع وآثار الوحشية والقسوة والأجساد المشوهة التي تتهاوى تحت الأقدام ومظاهر القتلى والثكلى والأفواه الفارغة . وقد احتوت هذا اللوحة على تسعة أشكال بارزة ومختلفة وبطريقة واضحة عن الأشكال الأخرى . وهي تتمثل في أربع نساء وطفل واحد وتمثال المحارب والثور والحصان والطائر . حيث ظهرت النساء في اللوحة وهن يصرحن ويندفعن ويجرين ويسقطن ، ويظهر في أقصى يمين اللوحة رجل نصفه إنسان ونصفه الآخر تمثال ، ويبدو من هيئته كقاعدة غير متحركة ، وفي أقصى اليسار من اللوحة ثور ثابت غير متحرك وقد ألتف وجه ونظره نحو يسار اللوحة وكأنه متغطرس في كبريائه وتعالیه ، وأيضا يبدو كأنه خارج المأساة والكارثة التي حلت بالقرية كونه غير

متأثر بها أو غير مهتم بدون تحمل أي مسؤولية مطلقاً ، وفي أسفل الثور امرأة تكلي تصرخ وهي تحمل طفلاً ميتاً بين ذراعيها . وفي أسفلها محارب أسباني يحتضر وقد قبضت إحدى يديه على نصل السيف وسط زهور هشة لا تعني أبداً وأما اليد الأخرى فهي ممدودة وممزقة تنن بفعل الآلام. وفي منتصف اللوحة جواد (حصان) يحتضر ، أو في حالة انهيار كلي لا يستطيع معها القيام بحركة أو العدو، وبدا صوت صهيله يبدو عالياً ورهيباً من شدة الفزع أو الهول وقد ظهر جانباه ممزقان وعينييه زائغتين وفتحي منخاره متسعيتين وقد فتح فاه و بدا لسانه كأنه رأس خنجر مدبب . ومن شبك مربع ظهرت صرخة أطلقتها امرأة أشبه بشعلة متأججة تسقط في الفراغ وظهر أسفل منها امرأة أخرى ينثني جسدها كأنه علامة استفهام حية وقد اختلطت عيونها بالدموع فكونا معاً شكلاً من أشكال الألم والفزع . ونرى في أعلى اللوحة مصباحين أحدهما مصباح صغير تم دفعه للأمام بقوة وعنف بواسطة يد تندفع من الشباك أو النافذة المربعة إلى مركز الضوء في موضوع بارز تماماً . ومن أعلى رأس الحصان يبرز مصباح كبير كأنه شمس على هيئة عين وقد برزت منه تلك الخطوط الحادة والرفيعة التي تتوزع في جميع الاتجاهات باللونين الأبيض والأسود .

#### المرحلة الثانية : التحليل الشكلي

وقد اقتصر (بيكاسو) في عمله ( الجورنيكا) على الألوان الرمادية والألوان السوداء والألوان البيضاء (ألوان أحادية اللون) وهي الخبرة التي جمعت من المراحل السابقة التي مارسها من المرحلة الزرقاء والوردية والزنجية وغيرها . حيث أتكسى أرضية اللوحة وخلفيتها باللون الأسود مما أوحى بالظلمة على الرغم أن الأحداث قد وقعت نهاراً. وقد عمد الفنان على تحرير أشكاله الأساسية من مظهرها الخارجي التقليدي ، ومع الحرص على الاحتفاظ بقيمتها الرمزية المكتسبة من خلال اختزالها إلى أشكال تعبيرية ذات صفات تفسيرية أكثر من كونها قصص سردية أو واقعية. وقد انصب اهتمام (بيكاسو) في المقام الأول بمكونات التشكيلية لتلك الأشكال وعلاقتها العامة مع بعضها والحرص على تحديد إطارها التكويني العام . وقد ادخل على تلك الأشكال تقنيات أقلام السوداء وأقلام الفحم

والحبر والريشة . وأما الخطوط التي تحويها اللوحة فقد بدت متداخلة ومتكسرة ومنحنية و الزوايا الحادة . وقد يوحي ذلك التداخل بين الخطوط بأنواعها وبين تلك الأشكال المبعثرة والمتراكمة بملامح رهيبة إلى نوع من غير النظام الظاهر ، والواقع عكس ذلك فالفراغ ذو اللون السود المحيط بتلك العناصر الخطية والشكلية قد جمع مظاهر الدمار والغضب الجامح والمطالبة بالعدالة المنصفة وربط عناصرها مع بعضها .

ويمكن ملاحظة أن السماء في اللوحة لا يوجد بها أشكال تتضمن طائرات حربية أو رموز لها رغم اكتساء سماء قرية الجورنيكا بالطائرات في ذلك اليوم . كما أن اللوحة لم تحوى على اللون الأحمر ولم يوجد الفنان أي فروق بين النار والضوء أو بين تلك التعقيدات الشكلية للأشخاص الموتى والأحياء . وعندما ندقق في الأشكال التي أوجدها الفنان على مسرح عمله نجد سيطرة عنصر النساء في لوحته ، والسبب في ذلك أن قرية (جورنيكا) كانت قرية نساء وأطفال بينما معظم الرجال في جبهة القتال أثناء الحرب الأهلية الأسبانية هذا من جهة . وأما من جهة أخرى فإن (بيكاسو) ينظر إلى النساء والأطفال رمزاً للاكتمال التام للجنس البشري ، وأن انتهاك حرمتها يعد في أساسه موجه إلى الأساس الجوهري للجنس البشري .

المرحلة الثالثة : تحليل المعنى

أ- التحليل الداخلي أو الضمني

اعتمد الفنان (بيكاسو) في تجسيد لقضية قرية الجورنيكا على استقراء الأبعاد الرمزية والذهنية للوحة - فمثلاً - صرخة المرأة الواقفة إلى اليسار ونواحها على طفلها الميت الذي تحتضنه وهو رمز عالمي لآلام الإنسان ومعاناته. و قبضة يد المحارب المحتضر المضمومة على حظام نصل السيف لا تعبر عن الهزيمة أو روح الانهزام بل هي رمز على البقاء والانتصار والعزم الذي لا ينطفي . و المصباح الصغير الذي أعيد تشكيل رأسه على هيئة مذنب أبيض هو ليس مجرد وسيلة لكشف عن الوقائع والأحداث المؤلمة في الليل ، لكنه هو رمز يشير إلى القوة الخفية والكامنة والموجودة في أسبانيا ولكن قوة العدوان وفوضى التدمير قامت بإخفائها . كما أنه يوحي إلى الضمير الإنساني العالمي الذي

يلقي الضوء هذه المأساة ، وكذلك يوحى بالاستنجد لانقاد أسبانيا من محنتها الحالية حرب أهلية وقصف بالطائرات. وأما الثور الذي تميز بالثبات والاستقرار وهو الشكل الوحيد الذي يقف على ساقيه فهو يرمز إلى الوحشية وإلى القوة العدوانية الجائرة والظالمة والمتمثلة في قوات الألمانية النازية (الفاشية) التي نفذت الهجوم على هذه القرية وأفعالهم المغزية التي يحكمها عقلاً ولا قيم أخلاقية أو إنسانية ، وقد استقى هذا الرمز من الثقافة الأسبانية في موضوعات مصارعة الثيران . وأما الحصان (الجواد) فهو رمز لأسبانيا أو الناس الموجودين في قرية الجورنيكا، وجموده عن الحركة والعدو فهو يرمز على مظاهر الاحتجاج ضد هذا العدوان ، وأما المصباح الكبير الذي أخذ شكل العين فهو يرمز إلى الحقيقة التي نستطيع من خلالها رؤية تلك الفظاعة والدمار والهلاك الذي حل بسكان قرية (الجورنيكا) . إذن فاللوحة هي إدانة صريحة للقضية المطروحة وضرواة الحرب الأسبانية وليس تقريراً إعلامياً .

## ب- التحليل الخارجي أو غير الضمني

الأسباب التي أدت بالفنان (بيكاسو) لإبداع هذه اللوحة هو الحادث الذي وقع في صباح يوم ٢٦ من العام ١٩٣٧م اليوم الذي كان السوق الأسبوعي لسكان قرية الجورنيكا ، والتي كانت قرية آمنة ومسالمة ولم تشكل يوماً خطأ عسكرياً أو موقفاً استراتيجياً أو ممراً لجيوش . ففي ذلك اليوم فوجئ فيه البسطاء والعجزة والشيوخ والنساء والأطفال بأن السماء التي فوقهم قد امتلأت بالطائرات الألمانية النازية الحربية والمقاتلة، والتي لم تتردد في قصف تلك البلدة بمن فيها بالقنابل الحارقة والمهلكة والمتفجرة وإطلاق الألف من الرصاص الرشاش. حتى أحالتها إلى مظاهر من الدمار والرماد و الأشلاء الملقاة على مدى ثلاث ساعات ونصف الساعة قتل فيها ألفان من المدنيين واحترقت المدينة لمدة ثلاثة أيام وهرب الناس إلى الملاجئ وانجلى منها ما يقارب ٧٠% من سكانها إلى خارجها ، وبهذا العمل الوحشي سهلت مهمة الجنرال الأسباني (فرانكو) بعد ما تحققت

أهداف النازية في إرهاب الشعب الأسباني ، لكي يخضعوا إلى السلطة النازية ذات العتاد القوي في أوروبا -آنذاك- ليسهل بعد ذلك الاستيلاء على معظم أرجاء البلاد. وقد وصل خبر مذبحه (جورنيكا ) إلى الفنان (بيكاسو) عن طريق الصحف المحلية في باريس . وقد تأثر شديداً وشعر بالاضطراب لهذا الخبر ، وعمد طوال ثلاثة شهور يبحث في أفكاره ومخططاته الأولية حتى وصلت مايقارب ٦٠ تخطيطاً ومن بعدها شرع في تنفيذ لوحته والذي اتخذ فيها أسلوب التكعيبية البارز التي تقوم في أساسها على اختزال العناصر المختلفة في العمل الفني ، إلى أشكال وأحجام هندسية وخطوط مستقيمة مع تحطيم المنظور الخاص بها والتركيز على الشكل أولاً ، ومن ثم اللون ثانياً. والجمع بين الأزمنة والأمكنة المختلفة في منظر أو لوحة واحدة .